بعثنة الرابطة المارونية!!!

الياس بجاني

مسؤول لجنة الاعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

بات من الضرورة بمكان أن نسأل بصوت عال وصارخ أي رابطة مارونية تلك التي يرأسها حالياً السيد ميشال اده، وهل فعلاً ما زالت مارونية - لبنانية - سريانية ومغطاة بعباءة سيد بكركي ومجسده لأفكاره وتطلعاته، أم أنها أمست تجمعاً من التجمعات المبعثنة والمسورنة على شاكلة الأحزاب الستة، وبوقاً احتياطاً لخدمة مآرب ومخططات المحتل وأداة طيعة في يده لتشويه صورة الموارنة الحضارية وجرهم إلى عصور التخلف والجاهلية؟

إن مواقف السيد اده المبتذلة والذمية بامتياز تناقض كلياً ثوابت وفكر وممارسات وتاريخ وشريعة الموارنة الذين أعطي لصرحهم مجد لبنان!!!

نسأل عن الأسباب التي تُوجب على رعاة الطائفة المارونية السكوت عن ممارسات اده التدميرية والعدائية، وعن سر غطهم الطرف عن اختراقها البعثي الفاضح؟ لقد أمست هذه المؤسسة العريقة في ظل هيمنة اده على رئاستها سلاحاً لتدمير الذات المارونية وأداة "عنجرية للفكفكة والخردقة "بعد أن حولها اده منبراً لتسويق ثقافة العداء والقتل والحقد، ونموذجاً همجياً للتملق ومسح الجباه على أعتاب المحتل البعثي الذي لم يترك وسيلة لإجرام وتعذيب وإذلال إلا واستعملها ضد الموارنة وباقي الشرائح اللبنانية التي رفضت السير في ركاب مخططه الهادف إلى ضرب وتشتيت وإلغاء كل ما هو لبناني من مؤسسات وثقافة واستقلال وحريات وسيادة وحدود وقيم وإنتاج.

لقد بات من الضروري أن يقول غبطة البطريرك صفير كلمته في الأمر ويوضح موقفه من أقوال وأفعال وهرطقات السيد ميشال اده. علماً أن الرجل يتبجح أن سيد بكري اختاره لمنصب رئاسة الرابطة!!! لقد عودنا غبطته على شجاعة الموقف وسرعة أخذ المبادرات والشهادة للحق. من هنا فإن إعلان موقف رسمي من قبله لجهة ممارسات وأقوال السيد اده بات أمراً ملحاً لتبيان الحقيقة وإعطاء كل ذي حقه.

يوم سُمي ميشال اده رئيساً للرابطة المارونية لفتنا الرعاة من خلال بيان وقعه معنا العديد من المؤسسات والتجمعات اللبنانية الاغترابية إلى عواقب وضع هذا الرجل في سدة رئاسة الرابطة، فلم يؤخذ برأينا ولم يلتفت أحد إلى مخاوفنا، ووصل اده لرئاسة الرابطة.

لن نزيد أكثر وسنترك للقارئ مهمة استكشاف فكر وانتماء وإيمان وعقيدة ميشال أده من خلال الكلمة التي ألقاها بتاريخ ١٨/٦/٢٠٠٤ في ندوة عن استراتيجية المقاومة عند حافظ الأسد، في قاعة الاحتفالات الكبرى في بيروت – مركز توفيق طبارة.

(كلمة السيد اده)

المنطلق الأساس إلى قراءة استراتيجية المقاومة في فكر الرئيس الراحل حافظ الأسد هو الحركة التصحيحية التي بادر إليها وقادها في العام ١٩٧٠. لأن هذه الحركة شكلت أول صحوة نقدية حقيقية ردت بها سوريا على هزيمة الخامس من حزيران ١٩٦٧ بالمعنيين الوطني والقومي معا: فهي رد على مجمل أوضاع سوريا الداخلية المتردية سياسيا واقتصاديا وعسكريا، وعلى الأوضاع العربية المهتزة بعامة، والتي أغرقتها الهزيمة في لجة اليأس والضياع وفقدان البوصلة.

لقد أدرك الرئيس الراحل حقيقتين مترابطتين متلازمتين بصورة عضوية، وعليهما بنى فكره الستراتيجي في مقاومة المشروع الصهيوني، والمدرسة السياسية التي أسس: الحقيقة الأولى، هي الوعي الحاسم بأن أي بلد عربي سوف يظل مهددا باستقلاله وسيادته واقتصاده وثرواته وتطوره وكرامته، أياً كانت طبيعة نظامه السياسي، ما دامت إسرائيل لا يفرض عليها الانكفاء والتراجع والتخلي عن المشروع الصهيوني، أي عن طابعها التوسعي العدواني العنصري.

والحقيقة الملازمة الثانية، هي بناء الشروط والقدرات الذاتية بتحقيق عناصر القوة الضرورية للمواجهة، التي يستحيل الانتصار فيها على أساس الشعارات ومحض الشعارات، ليس إلا.

وعلى هذا انصرف الرئيس الراحل منذ البدء إلى بناء استراتيجيته في المقاومة على أساسين: الأول سوري داخلي، انتقل بسوريا من اللا استقرار والفوضى إلى الاستقرار والثبات، ومن سياسة الشعارات والانفعال وردات الفعل إلى سياسة الفعل القادر على التغيير في الوقائع. وتجلى ذلك في الانصراف إلى مهمة بناء التوازن الستراتيجي بمواجهة إسرائيل، من خلال بناء الدولة والجيش معا.

أما الأساس الثاني فعلى المستوى العربي. وقام أساساً على بناء التضامن العربي والسعي المخلص الدؤوب إلى الإفادة مما يختزنه من طاقات واقعية حقيقية تشكل موضوعيا شكلا فاعلا من أشكال المقاومة مثلما يشكل غيابها أو تبديدها إضعافاً لها.

خطوة التحول

وهكذا جسدت حرب تشرين التحريرية خطوة التحول النوعي الأولى التي أنضجتها الحركة التصحيحية في سياق استراتيجية المقاومة. وشكلت بالفعل علامة فارقة للصالح العربي في مجرى الصراع العربي الإسرائيلي. ولا يغير من حقيقة هذا الأمر النوعي مسارعة معظم الدول الكبرى في الغرب، ولا سيما الولايات المتحدة الأميركية، إلى تجنيب الكيان الصهيوني كأس الهزيمة المحققة، حيث منع على سوريا ومصر تكريس الانتصار على إسرائيل في حرب نظامية.

الالتفاف إسرائيليا على مدلولات حرب تشرين، ومحاولة تجاوز مفاعيلها تجلى باعتماد إسرائيل استراتيجية فرض اتفاقات سلام منفردة يبرمها كل بلد عربي مستفردا على حدة، مع الكيان الصهيوني ولا تكون في الواقع غير توقيع على صك استسلامه والتصديق على شرذمة العرب والقضاء المبرم على التضامن العربي.

لكنه، على الرغم من تمكن إسرائيل من تحييد مصر واخراجها رسميا من دائرة الصراع، تمسك الرئيس الأسد برفضه المطلق سلوك طريق الحلول المنفردة. وتابع في الآن معا، بناء خطه الثابت في التوازن الستراتيجي الذي تمثل انذاك ليس فقط باستثمار ما يوفره من دعم ومصادر قوة التحالف مع الاتحاد السوفياتي في إطار ثنائية الاستقطاب في العالم عهد ذلك. بل التفت لاحقا إلى أقام تحالف نوعي راسخ مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، المناهضة للمشروع الصهيوني بصورة قاطعة.

هذه المقاومة السورية المتسقة في رفضها الحلول المنفردة، قد قوبلت بإشعال نيران الفتنة والإرهاب داخلها، بغاية النيل من مقاومتها هذه.

وبذلك فلقد كانت سوريا الضحية الأولى للإرهاب الذي جابهته بلا هوادة وبلا إي تردد. ولولا تصدي القيادة السورية الحاسم انذاك، لكانت نيران الإرهاب والتطرف قد تأججت والتهمت بحرائقها مساحات شاسعة من الجغرافيا العربية، بما يسوّغ التطرف والإرهاب الصهيوني، ويخدم مخططاته التوسعية بتفتيت الجسم العربي والمناعة العربية على يد ذلك الإرهاب بالذات.

وهنا، وبعدما باءت بالفشل كل أشكال الضغوط الصهيونية على صمود سوريا، ومن اجل إرغامها على القبول بالحل الاستسلامي، التفتت إسرائيل إلى النيل منها بصورة غير مباشرة في لبنان. ومن خلال الحرب التي اشتعلت في ربوعه عام ١٩٧٥ أي بعد سنة ونصفلا اكثر من حرب تشرين. وعاودت إسرائيل إشعال تلك الحرب مجددا باجتياح آذار ١٩٧٨، ثم من خلال اجتياح لبنان عام ١٩٨٢واحتلال القسم الأكبر منه.

سقوط إسرائيل

لكن ما سقط بالنهاية في لبنان كانت إسرائيل وليس سوريا. ولا استراتيجيتها المقاومة التي تمكنت مع لبنان بالقع من إسقاط اتفاق ١٧ أيار الذي حاولت إسرائيل فرضه حلا منفردا استسلاميا يخرج لبنان من انتمائه العربي الطبيعي بتفكيكه معازل طائفية ومذهبية. مثلما تمكن لبنان كذلك، وبدعم أساسي من استراتيجية سوريا بالمقاومة من إفشال محاولات إسرائيل المستميتة انذاك إلى فرض مشروع توطين اللاجئين الفلسطينيين، والذي خططت له للإجهاز على لبنان، بجعله وطنا بديلا، وتصفية القضية الفلسطينية على حسابه، والقضاء على صيغته

المجتمعية القائمة على العيش المشترك والتنوع الديني، نقيضاً ديمقراطياً لأحادية إسرائيل الدينية الاتنية العنصرية.

إن إفشال تلك الخطط والأهداف الإسرائيلية، شكل إنجازات حقيقية في سياق الستراتيجية المقاومة وهو قد أوجد ومهد الأرضية الملائمة المكين لبروز واستواء المقاومة المباشرة المسلحة بصورة حرب الأنصار ضد جيش الاحتلال الإسرائيلي في لبنان.

إن المقاومة الوطنية والإسلامية، شكلت مقتل إسرائيل وسقوطها المدوي، وهزيمتها التاريخية في حرب غير تقليدية غير نظامية، يستحيل على أي كان تجنيب إسرائيل الوقوع فيها.

البعد الاستشرافي المقاوم في فكر الرئيس الأسد، يتجلى هنا بخاصة، أي عندما رأى إلى المقاومة في لبنان، والى وجوب دعمها بصورة مطلقة، قضية استراتيجية بالغة الأهمية في مواجهة المد الإسرائيلي الهجومي المتجدد، وفي مواجهة تمدد المشروع الصهيوني نفسه. وهذا خصوصا بعدما تبين له، في ضوء حرب تشرين، إن الانتصار العربي على إسرائيل في حرب تقليدية نظامية أمر بات ممنوعا دوليا.

لقد شكل ذلك القرار بدعم المقاومة بصورة مطلقة فعلا تاريخيّ الأبعاد، بدليل نتائجه وتداعياته التاريخية التي عصفت وما تزال بالكيان الصهيوني من أساساته، لتدخله في سيرورة من التأزم المستمر، انكشف مضمونه أمام الإسرائيليين أنفسهم بكونه أزمة مصير وجودية الطابع.

فلقد تمكنت هذه المقاومة الباسلة في لبنان من دحر جيش الاحتلال وإرغامه في مرحلة أولى على الانكفاء تباعا من بيروت والضاحية وقسم من الجبل في أيلول ١٩٨٣. ومن ثم من باقي الجبل وشرقي صيدا في آذار ١٩٨٥، إلى المنطقة الحدودية المحتلة منذ آذار ١٩٧٨. لتنجز المقاومة الإسلامية ، في مرحلة أخيرة دحر الجيش الإسرائيلي وتحرير لبنان من رجس احتلاله من دون قيد أو شرط ولا ترتيبات أمنية ولا مفاوضات، وذلك في ٢٥ أيار ٢٠٠٠. ولقد مكنت العناية الإلهية هذا القائد الكبير، قبيل أن ينتقل إلى جنان الخلد بأيام معدودة، من أن يرى بأم عينيه ثمرة إنجازه التاريخي الذي كان قد توقع أصلا عدم اقتصار نتائجه الأكيدة على تحرير الأراضي اللبنانية المحتلة وحسب، بل بما سيترتب على ذلك أيضا من أفاق لانبعاث الكفاحية الفلسطينية مجددا، إنما في الأراضي الفلسطينية المحتلة ذاتها هذه المرة.

وفعلا، فلقد اندلعت انتفاضة الحجارة الأولى عام ١٩٨٧، أي بعد سنتين على دحر الجيش الإسرائيلي من شرق صيدا عام ١٩٨٥. مثلما كان لدحر جيش الاحتلال في ٢٥ أيار من العام ٢٠٠٠ أثره الحاسم في اندلاع انتفاضة الأقصى المباركة في ٢٨ أيلول ٢٠٠٠، أي بعد مرور أربعة اشهر وثلاثة أيام فقط، في الأراضي الفلسطينية المحتلة وفي عقر الكيان الصهيوني بالذات.

معركة الصمود

غير أن الفكر الستراتيجي المقاوم للرئيس الأسد، كان يدرك، من الجهة الملازمة الأخرى الأهمية الحيوية القصوى لخوض معركة الصمود والمقاومة، على جبهة السياسة والعلاقات الدولية كذلك. وهي الجبهة التي طالما وجدت فيها الصهيونية مرتعها الخصب لكسب التعاطف الدولي معها. وحمل عواصم القرار وغيرها في العالم على الانحياز إلى مواقفها وطروحاتها، ولكم سعت إسرائيل في هذا المجال الدولي – ونجحت إلىحد بعيد – إلى تقديم نفسها على إنها الضحية التي لا تنشد غير السلام (كذا) مع جيرانها العرب الذين لا يجمع في ما بينهم – على حد مزاعمها – سوى الهوس بالحروب والعداء لليهود.

على هذا المستوى تجلى البعد الستراتيجي المقاوم الآخر لفكر الرئيس الأسدعندما اقدم على أن يقلب رأسا على عقب المعادلة التي كانت سائدة لصالح إسرائيل في المنطقة. وذلك من خلال قراره التاريخي بالمشاركة بمؤتمر مدريد عام ١٩٩١ على أساس القبول بالقرار ٢٤٢ ومبدأ الأرض مقابل السلام. واثبت الرئيس الأسد انذاك أنالعرب هم الذين يملكون مشروع سلام فعلي، هو السلام العادل والشامل، وليس إسرائيل التي لا تملك غير مشروع دوامة من الحروب لا نهاية لها.

هذا الموقف التاريخي للرئيس الأسد اخرج العرب من العزلة ومن حالة الرفض اللفظي العربية التي لم تكترث أصلا بمسألة توفير وحشد القدرات العربية التي تجعل من ذلك الرفض فعلا ملموسا قابلا للتحقق على الأرض، وليس مجرد شعارات لفظية لم تؤد في حقيقة الأمر إلا إلى خدمة إسرائيل في سياستها المستمرة القائمة على تضليل العالم، وعلى تصوير العرب بكونهم دعاة حرب وحسب.

ورغم تصاعد أصوات عربية متطرفة هوجاء صورت أمر المشاركة في مؤتمر مدريد تخليا عن القضية الفلسطينية وعن الجولان، وعن القضايا الوطنية والقومية، تمسك الرئيس الأسد بسياسته السلمية الحقة، لأنه قرأ باستشراف نفّاذ جوهر المواجهة مع الصهيونية قائما في وقف تمدد مشروعها الذي لا قابلية له على الحياة إلا بالتمدد، ولأنه قرأ ذلك كله في ضوء سقوط جدار برلين (تشرين ١٩٨٩) وانتهاء الحرب الباردة، وتبدل موازين القوى جذريا، وزوال عصر الاستقطاب الثنائي في العالم.

رد إسرائيل على مؤتمر مدريد، من جهة وعلى انتفاضة الحجارة الأولى ١٩٨٧ من الجهة الملازمة الثانية، تجلى من حيث الأساس (بإعلان مبادئ اوسلو) الذي استعملته إسرائيل لتروج، من البوابة الفلسطينية بالذات، بأن الصراع العربي الإسرائيلي برمته بات بحكم المنتهي. وهذا من غير ما حاجة إلى مؤتمر مدريد أوسواه من مؤتمرات أو مبادرات مماثلة ولا سواها من اتفاقيات (..)